وكذلك عمدت في البرازيل الجنود البحريّة الى الثورة فقتلوا احد الامراء وانزلوا الى البرّ ضبّاطهم وتهدّدوا بتدمير ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى الهدوء حتّى نالوا من المجلس المطالب المجحفة بالسلطة

أقيمت الافراح العموميّة في جمهوريّة الارجنتين لمرور مئة سنة على استقلالها. وهذه البلاد راقية اليوم في سلّم الفلاح. وفيها عدد وافر من السوريين يقال انّ المهاجرين اليها منهم في السنة لا يقلّون عن ٦٠٠ وهم بالنسبة الى عدد غيرهم من الشعوب في الرتبة الثالثة. وقد ارسلت لهم الحكومة العثمانيّة قنصلاً جناب وطنيّنا وتلميذ كليّتنا الامير امين ارسلان

هذه زبدة الاخبار السياسيّة في العام المنصرم

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

النصرانية بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدّدت مدينتيه الساحليّتين طرابلس شمالاً وعكا جنوباً ثمّ سرتَ منهما على خطّين متوازيين الى الشرق بلغ بك المسير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكّا الى مفاوز متّسعة تمتدّ على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالاً والى مشارف الشام فالنجا وتلال الصفا حتى جبال الحوران وبلادهِ المتّسعة جنوباً فكلّ تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تقيس نحو اربعمائة كيلومتر طولاً في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقّلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً للمراعي. وانّما كانت بعد تملّك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أصبحت كروضة غنّاء شيّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأميناً للطرق وعزّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج

لجمع مياه الامطار وخدّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

امّا سكّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيما من الجنود الذين اقامُوا مدّة خدمتهم وجالية اليونان من الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون الشرقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها

وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمنّاه العرب لسكناهم فكان اهل الحضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويرتزقون بلحومها والبانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتادهُ اهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرّة كسر شوكتهم غير انّهم عرفوا بالاختبار انّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشذّاذ الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسماً من السلطة على بادية الشام بصفة امراء او ملوك فكانوا يتصرّفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيّد مع السود وربّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاوّل للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنثية (١١ : ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيرهُ من النبط. وقد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بانّ الرومان كانوا اتّخذوا في مقدّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيّة من جهة البادية. وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بانّ بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليهِ تأجيل الرومان في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انّهُ اعدّ لهم حديدًا (لقتالهم) لا ذهبًا (لاجرتهم) فخرجوا ناقمين على الرومان والحقوا بجيش العجم

وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليه الدَّولة

اما الديانة التي كانت عليها امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنيَّة فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيَّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمرّيخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة ورومية. وكثر الفينقيُّون عبادة تمُّوز وعشتروت والبعل لمَّا النبط فكانوا يفضِّلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس وعَيتع. ثمَّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيَّة وقامت لمناهضة تلك الاديان كلِّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيء. والرجح ان الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليل كما ورد في سفر الاعمال. ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء في رسالته الى اهل غلاطية (١ : ١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصِّرين او خلَّف فيها اثرًا من دينه

والظاهر انَّ النصرانيَّة دخلت اوَّلًا في حاضرة حوران اعني بُصرى كما تشير اليه التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمَّ العرب المسلمون من بعدهم فقد ورد في جدول دوروثاوس السوري لتلامذة السيِّد المسيح السبعين انَّ تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٦ : ٥) نشر الدعوة النصرانيَّة في مدينة بُصرى فعُدَّ كأس اساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُّسل واثبتها السمعاني في مكتبته الشرقيَّة (ج ٤ ص ١ — ٢٠) انَّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصُّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرَّح بالامر المقريزي في كتاب الخطط والآثار (ج ٢ ص ٤٨٣) عن متى الشمَّاس « انهُ سار الى فلسطين وصور وصيداء وبصرى ». وقال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ١٥٠) : « ان برتلماوس بُعث الى ارض العرب والحجاز ». اما تدمر وباديتها فذكر سليمان البصرة في كتابه السرياني المعنون بالنحلة (Budge: *Book of the Bee. p. 106*) انَّ يعقوب بن حلفا بشَّر فيها

على انَّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيَّة الاولى في بادية الشام تعمُّ كل عناصر

الاهلين ولا تفوز العرب من سواهم فتبقي شكًّا في تنصُّرهم . الَّا انَّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيَّة اصرح واجلى . فقد افادنا مؤرخو العرب انَّ القبيلة الاولى التي تولَّت على بادية الشام باسم الرومان لمَّا كانت قضاعة من قبائل اليمن ثمَّ غلبتها على الامر سليح ثمَّ جاءت بعدهما قبيلة غسَّان فملكت على تلك الجهات وبقي ملكها الى ظهور الاسلام . والحال انَّ هذه القبائل الثلث قد دانت بالنصرانيَّة على رأي اولئك المؤرخين . قال اليعقوبيّ في تاريخه (طبعة ليدن ١ : ٢٣٤) عن قضاعة « انَّ قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . فدخلوا في دين النصرانيَّة فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » . وكذلك بنو سليح فقد صرَّح بنصرانيَّتهم المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام »

امَّا نصرانيَّة غسَّان فهي من الامور التاريخيَّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان وقد جمعنا في مقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (١٠ : ٥١٩ و ٥٥٤) البيِّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تديُّن غسَّان واحيائها وملوكها بالنصرانيَّة ردًّا على مزاعم كاتب بغدادي اغفل اسمهُ فنشر في المقتبس (٢ : ٣٨٢) رأياً خالف فيهِ مجموع المؤرخين من يونان وسريان وعرب . فمن اراد الوقوف على تلك الادلَّة فليراجعها في مظانِّها . ونضيف الى مؤلفي العرب الذين ذكرناهم هناك ابن رُسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ص ٢١٧) والمسعوديّ في كتابهِ التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ٢٦٥) فكلّ تلك النصوص المتعدّدة لا تصرّح فقط بان النصرانيَّة كانت في بعض احياء غسَّان بل انَّها عمَّتها جمعاء . وقد فنَّدنا في مقالتينا المذكورتين ما اتى بهِ المخالف من الحجج لانكار هذا الرأي العام . ولا يؤخذ فقط من البراهين التي اوردناها بانَّ النصرانيَّة شملت كل بلاد غسَّان بل يتضح ايضاً انَّ هذا الدين غلب عليها منذ اواخر القرن الرابع للمسيح اعني قبل الاسلام بثلاثة اجيال كما ترى من اسماء اساقفتها في المجامع وتآليف الكتبة المتعدّدين وتراجم السيَّاح وآثار الكتابات والكنائس الباقية الى يومنا (لهُ تتمَّة)